OPEN ACCESS
Received: 23/05/2024
Accepted: 09/08/2024

مجلة الآداب

Quran Method and Established Usage in Determining Pronoun References: A Theoretical -Applied Study

Dr. Saeed Nasser Abdullah Aal Moqbil*
salmeqbel@kku.edu.sa

Abstract:

This study discusses the importance of the Quran's method and its established usage in determining the reference of pronouns. It is part of the endeavor to interpret the Quran through the Quran itself, demonstrating some aspects of the Quran's miraculous nature, powerful style, and eloquence. The objectives are to develop a clear methodology for identifying pronoun references using the Quran's customary usage and to clarify the Quran's stance on some pronoun rules. The study is divided into an introduction, and two main sections:. The first section examined impact of understanding the Quran's method and established usage on determining pronoun references. The second section discussed the conflict between pronoun rules and the Quran's method and established usage. For the purpose of the study, the theoretical, deductive, and inductive methodology was employed. The study findings showed that understanding the Quran's method and established usage aided in identifying the intended pronoun reference. The Quran's usage and method do not conflict with the rule that prefers returning the pronoun to the mentioned subject rather than to an unrelated antecedent.

Keywords: Quranic methods, Pronoun rules, Pronoun reference, Quranic miracle.

* Associate Professor of Quran Interpretation and Sciences, Department of Quran Sciences, Faculty of Sharia and Fundamentals of Religion, King Khalid University, Saudi Arabia.

Cite this article as: Aal Moqbil, Saeed Nasser Abdullah. (2024). Quran Method and Established Usage in Determining Pronoun References: A Theoretical -Applied Study, *Journal of Arts, 13*(3), 576 -595.

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

مجلة الآداب

OPEN ACCESS

تاريخ الاستلام: 23/ 05/ 2024

تاريخ القبول: 09/ 08/ 2024

طريقة القرآن ومعهود استعماله في تعيين مرجع الضمير دراسة نظرية تطبيقية

د. سعيد بن ناصر بن عبدالله آل مقبل *

salmeqbel@kku.edu.sa

الملخص:

يتناول البحث أهمية طريقة القرآن ومعهود استعماله في التوصل إلى معرفة عود الضمير، وهو يدخل في الاجتهاد في تفسير القرآن بالقرآن، وفيه إظهار شيء من إعجاز القرآن، وقوة أسلوبه، وفصاحته، ويهدف إلى: الوصول إلى منهج واضح في معرفة مرجع الضمير باستعمال عادة القرآن. وبيان موقف استعمال القرآن من بعض قواعد الضمائر. وتم تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد، ومبحثين، المبحث الأول: أثر معرفة طريقة القرآن ومعهود استعماله في تحديد مرجع الضمير. المبحث الثاني: تنازع قواعد الضمائر مع طريقة القرآن ومعهود استعماله. واستعمل منهج البحث هو المنهج النظري الاستنباطي الاستقرائي. وتوصل البحث إلى أن معرفة طريقة القرآن ومعهود استعماله يُعِين على تعيين المراد بالضمير. لا يتعارض استعمال القرآن وطريقته مع قاعدة: إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره.

الكلمات المفتاحية: طرائق القرآن، قاعدة المضير، مرجع الضمير، الإعجاز القرآني.

* أستاذ تفسير وعلوم القرآن المشارك - قسم القرآن وعلومه - كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد المملكة العربية السعودية

للاقتباس: آل مقبل، سعيد بن ناصر بن عبدالله. (2024). طريقة القرآن ومعهود استعماله في تعيين مرجع الضمير دراسة نظرية تطبيقية، *مجلة الآداب*، *13* (3)، 576-595.

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

(EISSN):2708-5783 ISSN:2707-5508

DOI:https://doi.org/10.35696/arts.v12i3.2113

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فكثيراً ما يحتكم المفسرون في بيان المعاني إلى استعمال القرآن وعادته، ويتبين لهم معرفة مرجع الضمير بطريقة القرآن وعادته، فلم يكتفوا بالقواعد في ذلك، بل كان استعمال القرآن عندهم من الأهمية بمكان، فكان هذا البحث بعنوان: طريقة القرآن ومعهود استعماله في تعيين مرجع الضمير- دراسة نظرية تطبيقية.

أهمية الموضوع:

1- معرفة استعمال القرآن تُعِين على التعرف على مرجع الضمير.
2- التوصل إلى معرفة عود الضمير باستعمال القرآن يُعَدُّ من الاجتهاد في تفسير القرآن بالقرآن.
3- إظهار شيء من إعجاز القرآن، وقوة أسلوبه، وفصاحته.
4- دراسة استعمال القرآن يوصل للمعنى الصحيح.

قال ابن عاشور في قوله تعالى: (يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ) [لقمان: 16]: «وأعيد عليه الضمير في قوله: (بها) مؤنثاً مع أن (مثقال) لفظ غير مؤنث؛ لأنه أضيف إلى حبة، فاكتسب التأنيث من المضاف إليه، وهو استعمال كثير إذا كان المضاف لو حذف لما اختل الكلام، بحيث يستغنى بالمضاف إليه عن المضاف، وعليه فضمير (إنها) للقصة والحادثة، وهو المسمى بضمير الشأن»[(1)].

أهداف البحث:

1- التعرف على وسائل تكشف المبهم من الضمائر.
2- الوصول إلى منهج واضح في معرفة مرجع الضمير باستعمال عادة القرآن.
3- بيان موقف استعمال القرآن من بعض قواعد الضمائر.

الدراسات السابقة:

توجد دراسات كثيرة في مرجع الضمير، منها:

- اختلاف مرجع الضمير وأثره في تنوع الوقف والابتداء، هادي حسين عبد الله فرج، بحث منشور في: المجلة العلمية لكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا، 2021م.
- مرجع الضمير في القرآن الكريم- مواضعه، وأحكامه، وأثره في المعنى والأسلوب، لمحمد حسين صبرة.
- عود الضمير وأثره في توجيه المعنى في القرآن الكريم (دراسة نحوية)، لعبد الله راجي محمد غانم.

وغالب البحوث في هذا الموضوع في الجانب اللغوي، وما كان منها في بيان المعنى لم يتطرق إلى استعمال القرآن في تعيين مرجع الضمير، ولم أقف على دراسة في هذا الجانب بالتحديد.

المنهج:

منهج البحث هو المنهج النظري الاستنباطي الاستقرائي.

حدود البحث:

يتناول معرفة وتعيين مرجع الضمير من خلال استعمال القرآن وعادته، بالإضافة إلى بيان موقف استعمال القرآن من قاعدتين من قواعد مرجع الضمير.

وقد سرت في هذا البحث وفق الخطة الآتية:

- ❖ المقدمة، وفيها: الأهمية، والأهداف، وخطة البحث.
- ❖ التمهيد: وفيه مطلبان:
- ❖ المطلب الأول: أهمية معرفة استعمال القرآن.
- ❖ المطلب الثاني: أهمية الضمائر.
- ❖ المبحث الأول: أثر معرفة طريقة القرآن ومعهود استعماله في تحديد مرجع الضمير. وفيه مطلبان:
- ❖ المطلب الأول: حمل مرجع الضمير على جميع المعاني لاستعمال القرآن.
- ❖ المطلب الثاني: تعيين مرجع الضمير من بين المعاني لاستعمال القرآن.
- ❖ المبحث الثاني: تنازع قواعد الضمائر مع طريقة القرآن ومعهود استعماله.
- ❖ المطلب الأول: تنازع استعمال القرآن مع قاعدة عود الضمير إلى أقرب مذكور
- ❖ المطلب الثاني: تنازع استعمال القرآن مع قاعدة عود الضمير إلى المحدث عنه

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

التمهيد: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية معرفة استعمال القرآن.

للقرآن طريقته التي يتميز بها، وعادته التي يختص بها، فالأولى الأخذ بعادة القرآن ومعهود استعماله، سواء في بيان المعاني، أو في أساليبه وبيانه، ويدخل في ذلك معرفة مرجع الضمير إذا كان يحتمل أكثر من مرجع، فتكون عادة القرآن حاكمة في ذلك، فطريقة القرآن ومعهود استعماله مقدمان على العرف واللغة عند وجود التعارض.

فاستعمال القرآن من المرجحات في معرفة مرجع الضمير، وهو ضابط مهم في هذا الباب؛ ولذا كان من قواعد الترجيح: حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك[2].

ففي قوله تعالى: (إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ) [الطارق: 8]، ذكر ابن القيم في مرجع الضمير ثلاثة أقوال، ثم رجح عوده على (الإنسان) بمرجحات، منها قوله: إنَّه هو المعهود من طريقة القرآن من الاستدلال بالمبدأ على المَعَاد[3].

ونجد أن الألوسي في عرضه لبعض المسائل يردُّ قولاً، ويرجِّح آخر؛ بناء على استعمال القرآن، كقوله: «وهو خلاف استعمال القرآن الكريم»[4]، «ولأنه الشائع في استعمال القرآن»[5]، وقال ابن عاشور في قوله تعالى: (وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ) [البقرة: 84]: «فوجه إضافة (الدماء) إلى ضمير السافكين- أن هذه الأحكام المتعلقة بالأمة أو القبيلة يكون مدلول الضمائر فيها مجموع الناس، فإذا تعلقت أحكام بتلك الضمائر من إسناد أو مفعولية أو إضافة أرجع كل إلى ما يناسبه على طريقة التوزيع وهذا كثير في استعمال القرآن»[6]، وفي موضع آخر قال: «ودلّ عليه استعمال القرآن»[7].

وذكر المفسرون قولين في معنى (الشهداء)، في قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ) [الحديد: 19]: الشهادة على الأمم في الآخرة، والثاني: الموت في سبيل الله، قال ابن عاشور: «والمعنيان من الشهداء ممكن الجمع بينهما، فتحمل الآية على إرادتهما على طريقة استعمال المشترك في معنييه؛ وقد قررنا في مواضع كثيرة أنه جرى استعمال القرآن عليه»[8].

المطلب الثاني: أهمية الضمائر

الاسم ينقسم إلى: نكرة، ومعرفة، والمعارف سبعة: الضمير، والعلم، واسم الإشارة، واسم الموصول، والمبدوء بأل - التي تفيد التعريف-، والمضاف إلى معرفة، والنكرة المقصودة، ولكل معرفة قرينة تدل عليه، إلا العلَم؛ لأنه اسم يُعيّن على المسمى مطلقًا، فلا يحتاج إلى قرينة، والضمائر من أساليب الكلام في مقابل الكلام الصريح غير المضمر، وهي أعرف المعارف بعد العلَم، والضمائر أنواعها ثلاثة: تكلم، وخطاب، وغيبة، وهي تحتاج إلى قرينة، فقرينة ضميري المتكلم، والمخاطب، هو التكلم والخطاب؛ ولذا يسمى ضمير المتكلم والمخاطب: "ضميرَ حضور"؛ لأن صاحبه لا بد أن يكون حاضرًا وقت النطق به[9].

وأما ضمير الغَيبة فهو الذي يحتاج إلى سَبْق ذكر؛ ليصبح معروفا، وإلا صار من أبهم المبهمات، -وهو موضوع البحث-، فإن تنوع المرجع، فإلامَ يعود الضمير؟ وإن لم يوجد مرجع فهو المعروف بضمير الشأن، وهو: ضمير يكون في صدر جملة بعده تفسره دلالته، وتوضح المراد منه، ومعناها معناه. وإنما سمي "ضمير الشأن"؛ لأنه يرمز للشأن، أي: للحال المراد الكلام عنها، والتي سيدور الحديث فيها بعده مباشرة، كما يسمى: "ضمير القصة"؛ لأنه يشير إلى القصة "أي: المسألة التي سيتناولها الكلام[10].

والضمائر من أساليب اللغة العربية، وهو في كلام العرب، وفي القرآن الكريم كثير جدا، فلا بد من وجود مرجع للضمير، ومعرفته تزيل اللبس في المراد به، فله أهمية بالغة في اختصار الكلام، وتفخيم المراد بالضمير، كقوله تعالى:(إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ) [القدر:1]، كما يراد به التحقير، كقوله تعالى: (إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) [البقرة: 168]، كما يفيد في الربط بين الجمل، قال تعالى: (أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ 37 إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ) [القلم: 37-38]، وغيرها.

وللضمير أحوال وصور شتى، منها: الأصل أن يتأخر الضمير عما دلّ عليه، كقوله تعالى: (إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا) [النور: 40]، وأن يعود على مذكور في سياق الكلام ولو كان متأخراً، كقوله تعالى: (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ) [طه: 67]، وقد يعود على غير مذكور لحضوره في الذهن، كقوله تعالى: (وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ) [النحل: 61]، «وضمير (عليها) صادق على الأرض، وإن لم يجر لها ذكر في الكلام فإن المقام دال عليها، وذلك استعمال معروف في كلامهم، كقوله تعالى: (حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ) [ص: 32]، يعني: الشمس»[11]، أو يدل عليه السياق، فيضمر ثقة بفهم السامع، كإضمار الأرض في قوله: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ) [الرحمن: 26]، وقد يعود الضمير على بعض ما تقدم له، كقوله تعالى: (فَإِن كُنَّ نِسَآءً) [النساء: 11]، بعد قوله: (يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ) [النساء: 11]، وقد يُذكر شيئان ويعاد الضمير على أحدهما، ثم الغالب كونه للثاني، كقوله تعالى:(وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ) [البقرة: 45]، فأعاد الضمير للصلاة لأنها أقرب، وقد يجيء الضمير متصلاً بشيء وهو لغيره، كقوله تعالى:(وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ) [المؤمنون: 12]، يعني: آدم، ثم قال: (ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً) [المؤمنون: 13]، فهذا لولده؛ لأن آدم لم يخلق من نطفة[12].

وقد قعّد العلماء قواعد في باب الضمائر، منها على سبيل الاختصار: الأولى أن يعود الضمير إلى مذكور غير مقدر، أو إلى أقرب مذكور، وإعادة الضمير المحدث عنه أولى، وتوحيد مرجع الضمائر أولى من تفرقها، وقد يعود إلى أكثر من مذكور.

ومعرفة مقصد الكلام وسياقه تعين على معرفة مرجع الضمير، وكل موضع بحسبه، قال ابن عاشور: في قوله تعالى: (يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) [القيامة: 13]: «وينبغي أن يكون المراد بالإنسان الكافر جريًا على سياق الآيات السابقة؛ لأنه المقصود بالكلام، وإن كان كل إنسان ينبأ يومئذ بما قدم وأخر من أهل الخير ومن أهل الشر»[13].

المبحث الأول: أثر معرفة طريقة القرآن ومعهود استعماله في تحديد مرجع الضمير، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حمل مرجع الضمير على جميع المعاني لاستعمال القرآن.

القرآن معجز في أسلوبه، فلا يمكن الإحاطة بكل مقاصده وإعجازه وبلاغته؛ ولذا يمكن حمل الألفاظ على أكثر من معنى، وهذا من تكثير معاني القرآن الدالة على بيانه، قال الباقلاني: « ومنها أنه ليس

للعرب كلامٌ مُشتَمِل على هذه الفَصاحة والغَرابة، والتصرُّف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحِكَم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة، على هذا الطُّولِ، وعلى هذا القَدْرِ،...وقد حصل القرآن على كثرته وطوله مُتناسِبًا في الفصَاحَة على ما وصَفه الله تعالى به، فقال- عزَّ مِن قائل-: (ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ) [الزمر: 23] »[14].

فقد يحتمل عود الضمير إلى أكثر من اسم متقدم، فلا يمنع إرادة الجميع إذا كان المعنى يحتملها، وهي متلازمة لا تعارض بينها، قال الطبري: «والكلمة إذا احتملت وجوها، لم يكن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعض، إلا بحجة يجب التسليم لها»[15].

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: (فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ) [الذاريات: 23]، فيحتمل عود الضمير في قوله: (إنه لحق) إلى: ما جاء به الرسول من دين، وبلغه من رسالة، أو ما عد الله عليهم في هذه السورة من آياته، وذكره من عظاته، أو إلى الرزق، أو إلى مَا تُوعَدُونَ[16]، وكلها حق دل عليها استعمال القرآن، قال تعالى: (إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ) [البقرة: 119]، وقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ) [النساء: 170]، وقال تعالى: (أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ) [الروم: 37]، وقال تعالى: (وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ) [الأنعام: 66].

المثال الثاني: في مرجع الضمير في قوله تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ) [الانشقاق: 6] قولان[17]:

الأول: عوده على ربك، وهذا دل عليه القرآن، كما في قوله تعالى: (وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ) [الأنعام:30]، وقال تعالى: (ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ) [البقرة: 46].

الثاني: الكدح، أي: العمل، والمراد الكتاب الذي كتبت فيه الأعمال، وهذا دل عليه القرآن، كما في قوله تعالى: (وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا) [الكهف: 49]، فعلى هذا يمكن حمل مرجع الضمير على القولين لاستعمال القرآن؛ إلا أن الثاني يعضده السياق، فقال بعده: (فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ)، وقال: (وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ) [الانشقاق: 10].

المثال الثالث: في قوله تعالى: (عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ) [النبأ: 1-3]، قال السخاوي: والمتساءل عنه: القرآن، والبعث، والنبوة[18]، وقد دل القرآن على تساؤل الكفار عنها جميعًا، كما في قوله تعالى:(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو

ظُلْمًا وَزُورًا ٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [الفرقان: 4-5]، وقال تعالى: (وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) [الإسراء:49]، وقال تعالى:(يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ) [الذاريات: 12]، وقال تعالى: (نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا) [الإسراء: 47]، وقال تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ) [المؤمنون: 25].

المثال الرابع: مرجع الضمير في قوله تعالى: (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا) من الآيات: (سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ 1 لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ 2 مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلْمَعَارِجِ 3 تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ 4 فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا 5 إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا 6 وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا) [المعارج: 1-7]، على قولين عند المفسرين، الأول: عوده إلى العذاب. الثاني: عوده إلى يوم القيامة[19].

وجمع ابن كثير بين القولين، فقال: «أي: وقوع العذاب، وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع»[20].

وهذا ما دلّ عليه استعمال القرآن، قال تعالى: (وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [الأنفال: 32]، وقال تعالى: (وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [الأنفال: 32]، وقال تعالى: (وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) [الإسراء: 49]، وقال تعالى: (قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا) [مريم: 75]، وقال تعالى: (بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا) [الفرقان: 11].

المطلب الثاني: تعيين مرجع الضمير من بين المعاني لاستعمال القرآن

عند ورود عدة أقوال في مرجع الضمير إلى آية مع وجود آية أو آيات أخرى تؤيد أحد الأقوال، فإن هذه الآية مرجحة لذلك القول.

ومن الأمثلة على ذلك قول الله تعالى: (قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ) [الأنعام: 57].

اختُلف في مرجع الضمير في قوله تعالى: (وَكَذَّبْتُم بِهِۦ) على أقوال فقيل: يعود على: الله -عز وجل-، وقيل: يعود على القرآن الكريم، وقيل: يعود على: البيان المشار إليه في قوله: (قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ)، وقيل: يعود على (ما)، والمراد بها الآيات المقترحة، وقيل: يعود على العذاب، وهو ما رجحه ابن عطية: (وهذا يترجح بوجهين: أحدهما من جهة المعنى، وذلك أن قوله: (وَكَذَّبْتُم بِهِۦ) يتضمن أنكم واقعتم ما تستوجبون به العذاب، إلا أنه ليس عندي، والآخر من جهة اللفظ، وهو الاستعجال الذي لم يأت في القرآن استعجالهم إلا العذاب؛ لأن اقتراحهم بالآيات لم يكن باستعجال»[21].

فرجح ابن عطية بناء على استعمال القرآن الكريم في استعجالهم بالعذاب تكذيبا به، كما في قوله تعالى:(قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ 50 أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ) [يونس: 50-51]، وقوله تعالى: (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) [الأحقاف: 24]، وقوله تعالى: (يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ 12 يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ 13 ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ) [الذاريات: 12-14].

المثال الثاني: قوله تعالى: (مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ 19 بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ 20 فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ 21 يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ) [الرحمن: 19-22]، اختلف المفسرون في عود الضمير في(يَخْرُجُ مِنْهُمَا)، هل هو بحر واحد، أم بحران، قال بالأول: الطبري، ومكي، والبغوي، والزمخشري، ومال إليه ابن عطية، والنسفي، وابن جزي، وابن عادل، والمراد به البحر المالح[22].

وقال بالثاني: إنهما بحران، أبو حيان والرازي، والشنقيطي[23]، وفي تعيين البحرين أقوال[24]، وردَّ الشنقيطي على أصحاب القول الأول، واستدل على القول الثاني باستعمال القرآن، فقال: وهذا القول الذي قالوه في هذه الآية مع كثرتهم وجلالتهم لا شك في بطلانه؛ لأن الله صرح بنقيضه في سورة فاطر، ولا شك أن كل ما ناقض القرآن فهو باطل، وذلك في قوله تعالى: (وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ) [فاطر: 12]».

فقوله: (وَمِن كُلٍّ) أي من البحر المالح والبحر العذب، وهو الظاهر من لفظ الآية، فنجد أن القرآن أيد أحد القولين في مرجع الضمير، فكان هو الصواب؛ لموافقته استعمال القرآن.

المثال الثالث: في قوله تعالى: (عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ 1 عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ 2 ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) [النبأ: 1-3]، قال السخاوي: الضمير للكفار وحدهم. وقيل: للمسلمين والكافرين؛ أما المسلم فليزداد خشية، وأما الكافر فليزداد استهزاء[25]. فاستعمال القرآن في الكافرين، كما ذكر الله عنهم: (بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ) [ق: 5]، قال ابن عباس: في قول مختلف، وعن قتادة: ملتبس عليهم[26].

المبحث الثاني: تنازع قواعد الضمائر مع طريقة القرآن ومعهود استعماله.

قد تتفرق الضمائر في موضع حسب السياق، وتخضع معرفة مرجع الضمير للمعنى بالدرجة الأولى، وقد تتنازع قواعد مرجع الضمير مع عادة القرآن ومعهود استعماله، وحينئذ نتأمل كل آية بحسبها.

ولعلنا نقتصر في هذا المبحث على قاعدتين من أهم قواعد مرجع الضمير، نتناولهما في مطلبين:

المطلب الأول: تنازع استعمال القرآن مع قاعدة عود الضمير إلى أقرب مذكور

القاعدة: (الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور، ما لم يرد دليل بخلافه)[27]، وهذه القاعدة ليست على إطلاقها، فغالب قواعد الضمائر أقوى منها، فالأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور، إلا إذا وجدت قرينة تصرفه إلى غيره، ومن تلك القرائن الغالب في طريقة القرآن ومعهود استعماله، قال تعالى: (أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ

رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ) [آل عمران: 162-163]، يمكن عود الضمير في (هُمۡ دَرَجَٰتٌ) على ثلاثة معانٍ[28]:

الأول: أن يكون عائدًا إلى (أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ) وتقديره: أفمن اتبع رضوان الله سواء، لا بل هم درجات عند الله على حسب أعمالهم.

الثاني: أن يكون عائدًا على (كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ)، والحجة أن الضمير عائد إلى الأقرب، وهو قول الحسن، قال: والمراد أن أهل النار متفاوتون في مراتب العذاب، وهو كقوله: (وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ) [الأحقاف: 19]، وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا»[29].

الثالث: أن يكون عائدًا إلى الكل؛ وذلك لأن درجات أهل الثواب متفاوتة، ودرجات أهل العقاب أيضا متفاوتة على حسب تفاوت أعمال الخلق؛ لأنه تعالى قال: (فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ 7 وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ) [الزلزلة: 7-8]، فلما تفاوتت مراتب الخلق في أعمال المعاصي والطاعات، وجب أن تتفاوت مراتبهم في درجات العقاب والثواب.

واختار الرازي الأول؛ لمرجحات، منها: أنه استعمال وعادة القرآن، فذكر أن الغالب في العرف استعمال الدرجات في أهل الثواب، والدركات في أهل العقاب، وأنه تعالى وصف من باء بسخط من الله، وهو أن مأواهم جهنم وبئس المصير، فوجب أن يكون قوله: (هُمۡ دَرَجَٰتٌ) وصفا لمن اتبع رضوان الله. وأن عادة القرآن في الأكثر جارية بأن ما كان من الثواب والرحمة فإن الله يضيفه إلى نفسه، وما كان من العقاب لا يضيفه إلى نفسه، كما في قوله تعالى: (كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ) [الأنعام: 54]، وقوله تعالى:(ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ) [البقرة: 178]، وقوله تعالى:(فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا) [النساء: 95-96]، وقوله تعالى:(هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ) [الأعراف: 203]، وفي جانب العقاب قال –سبحانه-: (كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ) [البقرة: 178]، وقال تعالى: (فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ) [الأعراف: 91]، وقال تعالى: (مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ) [آل عمران: 117]، وقال تعالى: (وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ) [الشعراء: 80].

فلما أضاف هذه الدرجات إلى نفسه، حيث قال: (هم درجات عند الله) علمنا أن ذلك صفة أهل الثواب.

وأخيرًا أنه متأكَّد بقوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١﴾ [الإسراء: 21] [30].

المثال الثاني: قوله تعالى: (فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ) [الطارق: 5-9].

للمفسرين في مرجع الضمير في قوله: عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ قولان[31]:

الأول: أن الضمير يعود على الإنسان، والمعنى: أن الله تعالى على بعثه وإعادته قادر، والبعض قال: رده من حال الكبر إلى الشباب.

الثاني: أن الضمير يعود على الماء، والمعنى: أن الله قادر على رد الماء في الصلب أو الإحليل، أو حبسه فلا يخرج، على اختلاف أقوال أصحاب هذا القول كالأول.

والراجح الأول: أن الله قادر على رد الإنسان حيا بعد موته، قال به من المفسرين: الطبري، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، وأبو حيان [32].

قال ابن القيم بعدما رجح المعنى الأول: إنَّه هو المعهود من طريقة القرآن من الاستدلال بالمبدأ على المَعَاد[33].

ويؤيد هذا القول آيات كثيرة دلت على قدرة الله –سبحانه- على إعادة الإنسان بعد موته، قال تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ 78 قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ) [يس: 78-79]، وقوله تعالى: (وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا 50 أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا) [الإسراء: 49-51]، وبمعنى الرجوع قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ) [الأنعام: 60]، وقال تعالى: (إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ) [يونس: 4]، فعادة القرآن تقرير البعث والنشور، وإقامة البراهين على قدرة الله على إرجاعه، فاستعمال القرآن يؤيد هذا القول، مع أن أقرب مذكور هو الماء، ولكن المحدث عنه في الآيات الإنسان.

وقوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ٤٨ لِّنُحۡيِيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا 49 وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا) [الفرقان: 48-50].

ففي عود الضمير في قوله تعالى: (وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ) قولان[34]:

الأول: أن الضمير عائد إلى ما ذكر من الدلائل، أي: كررنا أحوال الإظلال، وذكر إنشاء السحاب، وإنزال المطر في القرآن، وفي سائر الكتب السماوية؛ ليتفكروا ويعتبروا، ويعرفوا حق النعمة فيه، ويشكروا، فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها.

الثاني: عوده إلى أقرب المذكورات، وهو المطر، أي: صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة، والأوقات المتغايرة، وعلى الصفات المتباينة، من وابل وطل وغير ذلك، فأبوا إلا كفورا.

ويؤيد هذا القول قوله تعالى: (أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ) [النور: 43]، وقوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ) [البقرة: 164]، وقوله جل وعلا: (وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ) [الأعراف: 57].

فنجد أن تصريف ماء السماء ورد في آيات أُخر، وهو أقرب مذكور، ولم توجد قرينة تصرفه عنه، ودل عليه قول ابن عباس -ﷺ-: "مَا مِنْ عَامٍ أَمْطَرَ مِنْ عَامٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَصْرِفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قَرَأَ: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ) [الفرقان: 50] الآيَةُ"»[35].

ومن القرائن التي تصرف إرادة أقرب مذكور السياق، كما في قوله تعالى: (مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا) [الحج: 78].

اختلف في مرجع الضمير (هُوَ سَمَّاكُمُ): الأول: أنه راجع إلى الله تعالى. الثاني: أنه راجع إلى إبراهيم -عليه السلام-؛ لأنه أقرب مذكور، وهو قول عبدالرحمن بن زيد.

ومما يرد القول الثاني قوله: (وَفِي هَذَا) أي: القرآن، وإبراهيم لم يسمهم المسلمين في القرآن، وقد نزل بعد وفاته. بالإضافة أن المحدث عنه في الآية الله -سبحانه-، فالضمائر عائدة إليه، (هُوَ اجْتَبَاكُمْ) أي: الله (وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ) [الحج: 78] أي: الله، (هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ) أي: الله[36].

والله -سبحانه- ذكر في القرآن أن الأنبياء كانوا مسلمين، فهي وصية إبراهيم: فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون [البقرة: 132]، وقال تعالى: (وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) [النمل: 44]، وقال تعالى عن يوسف: (تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ) [يوسف: 101]، قال ابن عاشور في قوله تعالى: (إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ) [المائدة: 44]:« والمقصود من الوصف بقوله: (ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ) على هذا الوجه الإشارة إلى شرف الإسلام وفضله؛ إذ كان دين الأنبياء، ويجوز أن يراد بالنبيئين محمد -ﷺ -، وعبر عنه بصيغة الجمع تعظيمًا له»[37].

المطلب الثاني: تنازع استعمال القرآن مع قاعدة عود الضمير إلى المحدث عنه

القاعدة: إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره، قال السمين الحلبي: «أنَّ أحدَهما إذا كان مُحَدَّثا عنه والآخرُ فضلةً، كان عودُه على المحدَّثِ عنه أرجحَ»[38].

فعود الضمير إلى المعني بالكلام أولى، فهو أبعد من تشتت الذهن، فما موقف طريقة القرآن ومعهود استعماله من هذه القاعدة؟ لعلنا نستعرض بعض الأمثلة حتى يتبين لنا.

المثال الأول في قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ) [الرعد: 12-13]، فمرجع الضمير في (خِيفَتِهِۦ) يعود على الله –سبحانه-، فتسبح الْمَلَائِكَةُ من هيبته وإجلالِه -ﷻ-.

والمعنى: ويسبح سامعوه بِحَمْدِهِ ملتبسين به، فيضجون بسبحان الله، والحمد لله.

وقيل: الضمير يعود على الرَّعْدُ، أي: من خوف الرعد[39].

والأول استعمال القرآن، فخوف الملائكة من الله تعالى دلت عليه آيات كثيرة، منها قوله تعالى: (وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ) [النحل: 49-50]، وقال تعالى: (فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩) [فصلت: 38].

فاستعمال القرآن يدل على خوف الملائكة وخشيتها من الله تعالى، وهو المحدَّث عنه في الآيات.

المثال الثاني: في قوله تعالى: (أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ) [يس: 81]، فالضمير في قوله: (مثلهم)، قد يعود على السموات والأرض، أي: مثل السموات والأرض، وذكر الزركشي فساد هذا القول لوجهين: أحدهما أنهم ما أنكروا إعادة السموات والأرض حتى يدل على إنكارهم إعادتهما بابتدائهما؛ ولذا قال تعالى: (وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ) [العنكبوت: 61]، وقال تعالى: (وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ) [الزمر: 38]، القول الثاني: أن الضمير يعود على الكفار أنفسهم؛ وإنما أنكروا إعادة أنفسهم، فكان الضمير راجعا إليهم، كما يشهد له استعمال القرآن في إنكارهم البعث، قال تعالى: (قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ) [المؤمنون: 82-83]، وقال تعالى: (بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ) [ق: 2-3]؛ ويتبين المراد في قوله: (وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓ) [الأحقاف: 33][40].

المثال الثالث: في عود الضمير في قوله: (لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ)، في قوله تعالى: (أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ) [هود: 5] قولان: الأول: عوده إلى الله، الثاني: عوده إلى النبي -ﷺ-، ومن قال بالقول الثاني ذكر أن المنافقين كانوا يستخفون من الرسول -ﷺ-، ويجاب عنه بأن الآية مكية، ولم يكن الكفار يداهنون النبي -ﷺ-. فعلى هذا فالراجح عوده على القول الأول، قال الطبري: (إن الهاء في قوله: (منه) عائدة على اسم الله، ولم يجر لمحمد ذكر قبلُ، فيجعل من ذكره -ﷺ- وهي في سياق الخبر عن الله، فإذا كان ذلك كذلك كانت بأن تكون من ذكر الله أولى).

وقال ابن كثير: (وعود الضمير إلى الله أولى لقوله: (أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ)، وهو ما يدل عليه استعمال القرآن، كما في قوله تعالى: (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) [الزخرف: 80]، وقال تعالى: (وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ٧٦ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) [البقرة: 76-77].

فالأمثلة السابقة دلت على عدم تعارض وتنازع القاعدة المذكورة مع طريقة القرآن ومعهود استعماله.

النتائج:

في نهاية البحث نخلص إلى النتائج الآتية:

1- أن طريقة القرآن ومعهود استعماله يعين المراد بالضمير.
2- قد يصير أحد الأقوال في مرجع الضمير مرجوحا إذا خالف استعمال وعادة القرآن.
3- إذا احتمل عود الضمير لأكثر من اسم، وكان هذا استعمال القرآن؛ حُمل عليها جميعًا.
4- لا يتعارض استعمال القرآن وطريقته مع قاعدة: إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره.
5- أحيانًا يوافق استعمال القرآن قاعدة: الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور، ما لم يرد دليل بخلافه، وقد يخالفه أحيانا.
6- مرجع الضمير لا يحتكم لقواعد ثابتة لا تتغير، بل للقرائن المحتفة به أثر في ذلك.

التوصيات:

1- دراسة ضمير الفصل في القرآن الكريم.
2- دراسة استعمال القرآن عند أحد المفسرين.
3- دراسة استعمال القرآن مع قواعد مرجع الضمير.

الهوامش والإحالات:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 162.

(2) ينظر: الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين: 1/153.

(3) ينظر: ابن قيم الجوزية، التبيان في أيمان القرآن: 1/ 163.

(4) الألوسي، روح المعاني: 8/ 38.

(5) نفسه: 12/ 284.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 585.

(7) نفسه: 1/ 11.

(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 398.

(9) حسن، النحو الوافي: 1/ 218.

(10) ينظر: نفسه: 1/ 252.

(11) نفسه: 14/ 188.

(12) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 4/ 25.

(13) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 343.

(14) الباقلاني، إعجاز القرآن: 69.

(15) الطبري، جامع البيان: 1/ 315.

(16) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 368. النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 374.

(17) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: 31/ 98.

(18) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 558.

(19) ينظر الأقوال: الماوردي، النكت والعيون: 6/ 91. وممن رجح الأول: الطبري، ومكي بن أبي طالب. ينظر: الطبري، جامع البيان: 23/ 603. القيسي، الهداية الى بلوغ النهاية: 12/ 7702. وممن رجح الثاني: ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين: 5/ 35.

(20) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 224.

(21) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز:2/ 299.

(22) ينظر: الطبري، جامع البيان: 12/ 121. القيسي، الهداية الى بلوغ النهاية: 11/ 7222. البغوي، تفسير البغوي: 7/ 445. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 4/ 446)، ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 228. النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 412. ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 173. النعماني، اللباب في علوم الكتاب: 18/ 319.

(23) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير: 10/ 60. الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 352. الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: 7/ 799.

(24) ينظر: الماوردي، النكت والعيون: 5/ 429.

(25) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 558.

(26) الطبري، جامع البيان: 22/ 330.

(27) ينظر: الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين: 248/2.

(28) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: 9/ 416.

(29) مسلم، صحيح مسلم: 1/ 196، ح(213)، وبنحوه في: البخاري، صحيح البخاري: 8/ 115، ح(6561).

(30) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: 9/ 416، بتصرف. النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 2/ 302.

(31) انظر تفصيل الأقوال: الماوردي، النكت والعيون:6/ 247.

(32) انظر:الطبري، جامع البيان: 24/ 358. الواحدي، الوجيز: 1192. البغوي، تفسير البغوي: 8/ 394. ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 466. أبو حيان، البحر المحيط في التفسير:10/ 452.

(33) ابن قيم الجوزية، التبيان في أيمان القرآن: 1/ 163.

(34) ينظر: النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 5/ 246.

(35) الطبري، جامع البيان: 17/ 83، قال الحاكم: على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، الحاكم، المستدرك: 2/ 437.

(36) ينظر: الطبري، جامع البيان: 18 / 692. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 399/5. الشنقيطي،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: 5/ 818.

(37) ابن عاشور، لتحرير والتنوير: 6/ 208.

(38) السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 8/ 35.

(39) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 3/ 183. ابو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:10/5.

(40) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن:4/ 34.

المراجع

- **القرآن الكريم.**

1) الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
2) الباقلاني، محمد، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، 1997م.
3) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ.
4) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م.
5) البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ.
6) ابن جزي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1416هـ.
7) الحربي، حسين، قواعد الترجيح عند المفسرين: دراسة نظرية تطبيقية، دار القاسم، 2008م.
8) حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
9) أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

10) الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.
11) الزركشي، محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركائه، القاهرة، 1957م.
12) الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، 1406هـ.
13) ابن أبي زَمَنِين، محمد بن عبد الله، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة، 2002م.
14) السخاوي، علي بن محمد، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: موسى مسعود، أشرف القصاص، دار النشر للجامعات، القاهرة ، 1430هـ
15) أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
16) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، د.ت.
17) الشنقيطي، محمد بن محمد، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، 2019م.
18) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، د.ت.
19) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس،1984م.
20) ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.
21) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ.
22) النيسابوري، الحسن بن محمد، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ.
23) القيسي، مكي بن أبي طالب حَمّوش، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة ، جامعة الشارقة، 1429هـ.
24) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، التبيان في أيمان القرآن، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، راجعه: محمد أجمل الإصلاحي، وعبد الرحمن بن معاضة الشهري، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت،2019م.
25) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م.
26) الماوردي، علي بن محمد، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

27) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، محمد بن عبد الله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
28) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
29) النسفي، عبد الله حافظ الدين، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419هـ.
30) النعماني، عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت،1998م.
31) الواحدي، علي بن أحمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان داودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، 1415هـ.

Arabic references

- al-Qur'ān al-Karīm.
1) al-Alūsī, Maḥmūd ibn ʿAbd Allāh, Rūḥ al-maʿānī fī tafsīr al-Qur'ān al-ʿAẓīm wa-al-Sabʿ al-mathānī, taḥqīq : ʿAlī ʿAṭīyah, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1415h.
2) al-Bāqillānī, Muḥammad, Iʿjāz al-Qur'ān, taḥqīq : al-Sayyid Aḥmad Ṣaqr, Dār al-Maʿārif, al-Qāhirah, 1997m.
3) al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʿīl, Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, taḥqīq : Muḥammad Zuhayr ibn Nāṣir al-Nāṣir, Dār Ṭawq al-najāh, Bayrūt, 1422h.
4) al-Baghawī, al-Ḥusayn ibn Masʿūd, Maʿālim al-tanzīl fī tafsīr al-Qur'ān, taḥqīq : Muḥammad ʿAbd Allāh al-Nimr, wa-ākharūn, Dār Ṭaybah lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ, al-Qāhirah, 1997m.
5) al-Bayḍāwī, ʿAbd Allāh ibn ʿUmar, Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta'wīl, taḥqīq : Muḥammad al-Marʿashlī, Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʿArabī, Bayrūt, 1418h.
6) Ibn Juzayy, Muḥammad ibn Aḥmad, al-Tas'hīl li-ʿUlūm al-tanzīl, taḥqīq : ʿAbd Allāh al-Khālidī, Sharikat Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam, 1416h.
7) al-Ḥarbī, Ḥusayn, Qawāʿid al-tarjīḥ ʿinda al-mufassirīn : dirāsah Naẓarīyat taṭbīqīyah, Dār al-Qāsim,, 2008M.
8) Ḥasan, ʿAbbās, al-naḥw al-Wāfī, Dār al-Maʿārif, al-Qāhirah, N. D.
9) Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf, al-Baḥr al-muḥīṭ fī al-tafsīr, taḥqīq : Ṣidqī Muḥammad Jamīl, Dār al-Fikr, Bayrūt, 1420 H.
10) al-Rāzī, Muḥammad ibn ʿUmar, Mafātīḥ al-ghayb, Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʿArabī, Bayrūt, 1420h.
11) al-Zarkashī, Muḥammad ibn Bahādur, al-burhān fī ʿulūm al-Qur'ān, taḥqīq : Muḥammad Abū al-Faḍl, Dār Iḥyā' al-Kutub al-ʿArabīyah, ʿĪsá al-Bābī al-Ḥalabī wa-shurakā'ih, al-Qāhirah, 1957m.
12) al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ʿAmr, al-Kashshāf ʿan ḥaqā'iq ghawāmiḍ al-tanzīl, Dār al-Kitāb al-ʿArabī, Bayrūt, 1406h.

13) Ibn Abī zamanīn, Muḥammad ibn ʿAbd Allāh, tafsīr al-Qur'ān al-ʿAzīz, taḥqīq : Ḥusayn ibn ʿUkāshah, wa-Muḥammad ibn Muṣṭafá al-Kanz, al-Fārūq al-ḥadīthah, al-Qāhirah, 2002M.

14) al-Sakhāwī, ʿAlī ibn Muḥammad, tafsīr al-Qur'ān al-ʿAẓīm, taḥqīq : Mūsá Masʿūd, Ashraf al-Qaṣṣāṣ, Dār al-Nashr lil-Jāmiʿāt, al-Qāhirah, 1430h.

15) Abū al-Saʿūd, Muḥammad ibn Muḥammad, Irshād al-ʿaql al-salīm ilá mazāyā al-Kitāb al-Karīm, Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʿArabī, Bayrūt, N. D.

16) al-Samīn al-Ḥalabī, Aḥmad ibn Yūsuf, al-Durr al-maṣūn fī ʿulūm al-Kitāb al-maknūn, taḥqīq : Aḥmad al-Kharrāṭ, Dār al-Qalam, Dimashq, N. D.

17) al-Shinqīṭī, Muḥammad ibn Muḥammad, Aḍwā' al-Bayān fī Īḍāḥ al-Qur'ān bi-al-Qur'ān, Dār ʿaṭā'āt al-ʿIlm, al-Riyāḍ, Dār Ibn Ḥazm, Bayrūt, 2019m.

18) al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr, Jāmiʿ al-Bayān ʿan Ta'wīl āy al-Qur'ān, Dār al-Tarbiyah wa-al-Turāth, Makkah al-Mukarramah, N. D.

19) Ibn ʿĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir, al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr, Tūnis, 1984m.

20) Ibn ʿAṭīyah, ʿAbd al-Ḥaqq ibn Ghālib, al-muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-ʿAzīz, taḥqīq : ʿAbd al-Salām ʿAbd al-Shāfī, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1422H.

21) al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad, al-Jāmiʿ li-aḥkām al-Qur'ān, taḥqīq : Aḥmad al-Baraddūnī, wa-Ibrāhīm Aṭṭafayyish, Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, al-Qāhirah, 1384h.

22) al-Nīsābūrī, al-Ḥasan ibn Muḥammad, gharā'ib al-Qur'ān wa-raghā'ib al-Furqān, taḥqīq : al-Shaykh Zakarīyā ʿUmayrāt, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1416h.

23) al-Qaysī, Makkī ibn Abī Ṭālib ḥammwsh, al-Hidāyah ilá Bulūgh al-nihāyah fī ʿilm maʿānī al-Qur'ān wa-tafsīruh, wa-aḥkāmuhu, wa-jumal min Funūn ʿulūmuhu, taḥqīq : majmūʿah Rasā'il jāmiʿīyah bi-Kullīyat al-Dirāsāt al-ʿUlyā wa-al-Baḥth al-ʿIlmī, Jāmiʿat al-Shāriqah, majmūʿah Buḥūth al-Kitāb wa-al-sunnah, Jāmiʿat al-Shāriqah, H.

24) Ibn Qayyim al-Jawzīyah, Muḥammad ibn Abī Bakr ibn Ayyūb, al-Tibyān fī Īmān al-Qur'ān, taḥqīq : ʿAbd Allāh ibn Sālim al-Baṭāṭī, rājaʿahu : Muḥammad Ajmal al-iṣlāḥī, wa-ʿAbd al-Raḥmān ibn Maʿāḍah al-Shahrī, Dār ʿaṭā'āt al-ʿIlm, al-Riyāḍ, Dār Ibn Ḥazm, Bayrūt, 2019m.

25) Ibn Kathīr, Ismāʿīl ibn ʿUmar, tafsīr al-Qur'ān al-ʿAẓīm, taḥqīq : Sāmī ibn Muḥammad Salāmah, Dār Ṭaybah lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ, al-Qāhirah, 1999M.

26) al-Māwardī, ʿAlī ibn Muḥammad, al-Nukat wa-al-ʿuyūn, taḥqīq : al-Sayyid Ibn ʿAbd al-Maqṣūd ibn ʿAbd al-Raḥīm, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, N. D.

27) al-Mustadrak ʿalá al-ṣaḥīḥayn, al-Ḥākim, Muḥammad ibn ʿAbd Allāh, taḥqīq : Muṣṭafá ʿAbd al-Qādir ʿAṭā, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1990m.

28) Muslim, Muslim ibn al-Ḥajjāj, Ṣaḥīḥ Muslim, taḥqīq: Muḥammad ʿAbd al-Bāqī, Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, Bayrūt, N. D.

29) al-Nasafī, ʿAbd Allāh Ḥāfiẓ al-Dīn, Madārik al-tanzīl wa-ḥaqāʾiq al-taʾwīl, taḥqīq : Yūsuf Budaywī, Dār al-Kalim al-Ṭayyib, Bayrūt, 1419H.

30) al-Nuʿmānī, ʿUmar ibn ʿAlī, al-Lubāb fī ʿulūm al-Kitāb, taḥqīq : ʿĀdil ʿAbd al-Mawjūd, wa-ʿAlī Muʿawwaḍ, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1998M.

31) al-Wāḥidī, ʿAlī ibn Aḥmad, al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-ʿAzīz, taḥqīq : Ṣafwān Dāwūdī, Dār al-Qalam, al-Dār al-Shāmīyah, Dimashq, Bayrūt, 1415h.